## ٢٨
## افتراء

كان بعض بني عمه مُعادين له ساخرين منه ويهزأُون به ويقولون: كيف ليلى وكيف حبّك لها؟ فإذا ذكرت ليلى له رجع إليه عقله فيجلس إليهم يحدّثهم وينشدهم ما قال فيها من الشعر، فيقولون: واللّه ما به جنون وإنه لعاقل فإذا سمع منهم هذه المقالة خنقته العبرة وأنشأ يقول: [الطويل]

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى يُخَلَّسُ عَقْلُه
فَأَصْبَحَ مَذْهُوباً به كلَّ مَذْهَبِ(١)

خَلِيًّا مِنَ الخُلَّانِ إِلَّا مُعَذَّباً
يُضَاحِكُني مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي(٢)

إِذا ذُكِرَتْ ليلى عَقَلْتُ ورَاجَعَتْ
رَوَائِعَ قَلْبِي مِنْ هَوًى مُتَشَعِّبِ(٣)

وَقَالُوا: صَحِيحٌ مَا بِهِ طَيْفُ جِنَّةٍ
ولا الهَمُّ إِلَّا بِافْتِرَاءِ التَّكَذُّبِ(٤)

---

(١) يُخلّس: يسلب. يعبّر الشاعر عن حالة الضياع الذي حلّ بساحته فقد سَلبت عقله امرأة واستحوذت عليه، لذا فهو لا يهتدي إلى حال تتعاوره الضروب في كلّ اتّجاه.

(٢) الخليّ: المتروك من الصحاب. الخلان: الأحباب والأصحاب. يعاني الشاعر الشعور بالغربة؛ فقد تخلّى عنه أصحابه وأحبّاؤه من كان يسعد بلقائه فيحادثه ويسارّه أخباره، أما الآن فقد خلت ساحة الأحبة منهم.

(٣) عقلت: عاد إليّ صوابي. روائع قلبي: ما يبثه قلبه من جميل القول يدلّ على وعي ورشاد. ذكر اسم ليلى له بشائر السعد على الشاعر يردّ إليه وعيه وعقله فيصدر عنه ما ينمّ عن قلب يعمره الحبّ.

(٤) طيف جنّة: مسّ جنون. افتراء التكذّب: اختراع التلفيق. حال سماع القوم جميل القول يحكمون بأن الشاعر يدّعي الجنون فهو يتمتّع بعقل سليم.

وَلِـي سَـقَـطَـاتٌ حِـيـنَ أُغْـفِـلُ ذِكْـرَهَـا
يَـغُـوصُ عَـلَـيْـهَـا مَـنْ أَرَادَ تَـعَـقُّـبِـي (١)
وَشَـاهِـدُ وَجْـدِي دَمْـعُ عَـيْـنِـي وَحُـبُّـهـا
يَـرَى اللَّـحْـمَ عَـنْ أَحْـنـاءِ عَـظْـمِي وَمَـنْـكِبِي (٢)
تَـجَـنَّـبْـتُ لـيـلـى أَنْ يَـلـجَّ بِـيَ الـهَـوَى
وَهَـيْـهَـاتَ كـان الـحُـبُّ قَـبْـلَ الـتَّـجَـنُّـبِ (٣)
فـمَـا مُـغْـزِلٌ أَدْمَـاءُ بَـاتَ عَـزَالُـهـا
بِـأَسْـفَـلِ نِـهْـيٍ ذي عَـرَارٍ وحـلَّـبِ (٤)
بِـأَحْـسَـنَ مـن لـيـلـى وَلَا أُمُّ فَـرْقَـد
غَـضِـيـضَـةُ طَـرْفٍ رَعْـيُـهـا وَسْـطَ رَبْـرَبِ (٥)

(١) تعقّبه: تابعه ليكشف سقطاته. ثمة خيط رفيع بين التعقّل والجنون عند الشاعر، فهو إذا أغفل ذكرى حبيبته عاوده الجنون ممّا يسهل على من يتتبّع سقطاته أن يحكم عليه بالجنون.

(٢) الوجد: شدّة الحبّ. الأحناء: ما التوى من أجزاء العظام. يكشف بكاؤه المستمرّ عن حبّ عميق تمكن من قلبه وجوارحه حتى بدا ذلك في كلّ جُزيئة من عظامه وعارضيه.

(٣) لجّ: تمادى في الطلب. محاولات المقاومة باءت كلّها بالفشل فقد سبق السيف العذل وحتّم القضاء مجراه، فقد تمكّن الحبّ وتأخّرت المحاولات فتهاوت أسلحة التمنّع لديه.

(٤) المُغْزل من الظباء: أولدت غزالاً. الأدماء: السمراء. النّهي: غدير المياه. القرار: ضرب من النباتات الذكية الرائحة. حلّب: ضرب من النباتات ترعاه الماشية. عزالها: جلدها. ليست تلك الظبية التي اندفعت قاصدة ذلك لترتوي وترعى النباتات وتنعم بالرائحة الطيبة والطبيعة الحنون الجميلة.

(٥) الفرقد: ولد البقرة الوحشية. غضيضة الطرف: الناعسة. الربرب: القطيع. ثمة تفاضل بين ما يعتبر جميلاً في عالم الحيوان وبين حبيبته، فليلى أجمل من بقرة وحشية ناعسة ترعى وسط قطيع.

نَـظَـرْتُ خِـلَالَ الـرَّكْـبِ فِـي رَوْنَـقِ الـضُّـحـى
بِـعَـيْـنَـيْ قُـطَـامِـيٍّ نَـمـا فَـوْقَ عُـرْقُـبِ[١]
إلـــى ظُـــعُـــنٍ تَـــخْـــذِي كَـــأَنَّ زُهَـــاءَهَـــا
نَـــوَاعِـــمُ أَثْـــلٍ أَوْ سَـــعِـــيَّـــاتُ أَثْـــلَـــبِ[٢]
وَلـــم أَرَ لـــيـــلـــى غَـــيْـــرَ مَـــوْقِـــفِ سَـــاعَـــةٍ
بِـبَـطْـنِ مِـنـى تَـرْمِـي جِـمـارَ الـمُـحَـصَّـبِ[٣]
وَيُـبْـدِي الـحَـصـى مـنـهـا إذا قَـذَفَـتْ بِـهِ
مِـنَ الـبُـرْدِ أَطْـرافَ الـبـنـانِ الـمُـخَـضَّـبِ[٤]
فَـأَصْـبَـحْـتُ مـن لـيـلـى الـغَـدَاةَ كَـنَـاظِـرٍ
مَـعَ الـصُّـبـحِ فـي أَعْـقـابِ نَـجْـمٍ مُـغـرِّبِ[٥]

(١) القُطاميّ: الصقر. العرقب: المرتفع الصخري الوعر الصعب. في تفتح الفجر راح الشاعر يستطلع القافلة من مرتفع كصقر فقس وكبر فوق مرتفع صخري وعر صعب المرتقى.

(٢) الظُّعُن: النياق على وشك الرحيل. تخذي: تسرع في انطلاقها. زُهاءها: قوائمها. الأثل: ضرب من النبات القاسي. الأثلب: فتات الحجارة والأتربة. يمعن النظر في الركْب المنطلق مسرعاً كأن قوائم الجمال فيه عيدان الأثل أو كأنها تراب الحجارة المفتّتة.

(٣) منًى: أحد أمكنة مكة حيث يبيت الحجيج ليلة ويرمون الحصيات في الجمرات صباح أيام التشريق. الجمار: واحدها جمرة: الحصيات الصغار يُرمى بها إبليس اللعين طيلة الأيام الثلاثة؛ يعتبر ذلك أحد أركان الحجّ. المحصّب: مكان حيث يرجم إبليس اللعين، فتجتمع أكوام هائلة من الحصى. رحلة ساعة رأى الشاعر ليلى خلالها وهي ترمي الحصيات في المحصب.

(٤) البُرد: ضرب من الأثواب. أطراف البنان: رؤوس الأصابع. المخضب: المصبوغ بالحنّاء. ينظر الشاعر وسط الزحام إلى محبوبته وهي ترمي الحصيات فتبدو يداها من أكمام ثوبها وقد زينتها بالحنّاء.

(٥) ورد البيت في لسان العرب ١: ٦٣٨ مادة «غرب» و«المُغْرِّب: الذي يأخذ في ناحية المُغْرب: قال قيس بن الملوّح: وأصبحت... وقد نسب المبرّد هذا البيت إلى =

أَلَا إِنَّـــمَـــا غَـــادَرْتِ يَـــا أُمَّ مَـــالِـــكٍ
صَـدًى أَيْـنَـمـا تَـذْهَـبْ بِـهِ الـرِّيـحُ يَـذْهَـبِ[١]
حَـلَـفْـتُ بِـمَـنْ أَرْسَـى ثَـبـيـراً مَـكـانَـهُ
عَـلَـيْـهِ ضَـبَـابٌ مِـثْـلُ رَأْسِ الـمُـعَـصَّـبِ[٢]
ومـا يَـسْـلُـكُ الـمَـوْمَـاةَ مِـنْ كـلِّ نِـقْـضَـةٍ
طَـلِـيـحٍ كَـجَـفْـنِ الـسَّـيْـفِ تُـحْـدَى بِـمَـوْكِـبِ[٣]
خَـوَارِجِ مِـنْ نُـعْـمَـانَ أَوْ مِـنْ سُـفُـوحِـهِ
إِلـى الْـبَـيْـتِ أَوْ يَـطْـلُـعْـنَ مِـنْ نَـجْـدِ كَـبْـكَـبِ[٤]
لَـقَـدْ عِـشْـتُ مـن لـيـلـى زَمَـانـاً أُحِـبُّـهـا
أَرَى الـمَـوْتَ مِـنْـهـا فـي مَـجِـيـئـي وَمَـذْهَـبِـي[٥]

= أبي حيّة النميريّ. وغرّب القوم: ذهبوا في المغرب». وورد البيت في: كتاب سيبويه وشرح أبياته للأعلم ٢: ١٩٢. يتابع الشاعر بنظره ليلى وهي وسط الزحام المتدافع وسرعان ما تختفي كأنها نجم الصباح تلاشى وانمحى.

(١) أم مالك: كناية لليلى. يوجّه الشاعر كلامه إلى ليلى أنها تركت صدًى، والصدى لا يُرى تتلاعب به رياح التشتت والضياع؛ فتلك حاله.

(٢) ثبير: جبل من جبال مكة. المعصَّب: المعمّم رأسه. أرسى: أثبت. أقسم الشاعر بخالق ومرسي ثبيراً في مكانه، وقد ارتفعت هامته المتوّجة بالضباب كسيّد معمّم بعمامة.

(٣) المومأة: الصحراء. النِّقْضة: الناقة أهزلها السير الكثير. الموكب: الركب. طليح: متعبة من الجوع. جفن السيف: غمده. تُحْدى: يغني الحادي حاثاً الموكب على متابعة السير بسرعة. يصف الشاعر الموكب المسرع لغناء الحادي وهو يجتاز مجاهل الصحراء ودروبها، وقد أنهك الجوع النياق فبدت هزيلة.

(٤) نُعْمان: اسم جبل. البيت العتيق: مكة المكرّمة. نجد كبكب: سهل كبكب. خرج موكب الظّاعنين من سفح جبل نُعْمان ونجد كبكب متوجّهاً إلى الحرم في مكة شرّفها اللّه تعالى.

(٥) رحلة الحبّ مع ليلى لها تاريخ نهايته الموت في كل حالة في الذهاب والإياب.

وَلَـمَّـا رَأَتْ أَنَّ الـتَّـفَـرُّقَ فَـلْـتَـةٌ
وَأَنَّـا مَـتَـى مَـا نَـفْـتَـرِقْ نَـتَـشَـعَّـبِ[١]
أَشَـارَتْ بِـمَـوْشُـومٍ كَـأَنَّ بَـنَـانَـهُ
مِـنَ الـلِّـيـنِ هُـدَّابُ الـدِّمَـقْـسِ الـمُـهَـذَّبِ[٢]

## ٢٩
## تكلَّمت العيون

[الوافر]

إذا خِـفْـنَـا مِـن الـرُّقَـبَـاءِ عَـيْـنَـاً
تَـكَـلَّـمَـتِ الـعُـيـونُ عَـنِ الـقُـلـوبِ[٣]
وفـي غَـمْـرِ الـجَـوانِـحِ مُـسْـتَـراحٌ
لِـحـاجـاتِ الـمُـحِـبِّ إلـى الـحَـبـيـبِ[٤]

## ٣٠
## أمل ضائع

[الطويل]

حَـبـيـبٌ نَـأَى عَـنِّـي الـزَّمـانُ بِـقُـرْبِـهِ
فَـصَـيَّـرَنِـي فَـرْداً بِـغَـيْـرِ حَـبـيـبِ[٥]

---

(١) و (٢) فلتة: فجأة على غير ميعاد. نتشعّب: نفترق. علمت ليلى يقيناً أنّ اللقاء مفاجئ على غير ميعاد، وأنّنا سرعان ما نفترق وقد لا نلتقي ثانية أشارت بكفها الموشوم وقد زانته الرسوم، وأصابعها رقيقة كأنّها خيوط لدنة من أفضل الحرير اختياراً.

(٣) في اجتماعنا كشفت العيون عمّا نعانيه بهمس أخرس مخافة الرقباء.

(٤) غمر الجوانح: ما استتر منها وخفي. مُستراح: موضع الراحة. حاجات: أحاسيس ومشاعر. ما يخبّئه الأحبّة في جوارحهم وقلوبهم شوق وحنين صادق ومشاعر نبيلة تغفو هادئة ناعمة البال.

(٥) نأى: بعُد. ينعى الشاعر على الزمان سبب مصائبه، فقد باعد بينه وبين حبيبته، فجعل منه غريباً في دار وحشة لبعد حبيبته عنه.